13

وشرحت الأمر لشباب الناصريين

obeikan.com

obeikan.com

أول ما جلست إلى اللواء الحناوي - أمد الله في عمره ، و زاده صحة و قوة - في بيته الجميل بألماظة ، و بيننا جهاز تسجيل يدور ، بادرته بالسؤال :

- هل هناك شهود للواقعة التي سترويها حضرتك لى ...

وبمنتهى الثقة رد على الرجل الكريم :

- نعم هناك شهود أحياء ..

- من هم ؟.

- اللواء طيار د. جبر على جبر و كان ضمن قيادة الطيران بين ٩٨ و ١٩٧٤ . و اللواء نبيل كامل ، قائد فرقة الهليكوبتر بالقوات الجوية من تاريخ الواقعة و حتى إحالته إلى التقاعد .

- و هل هما مستعدان للشهادة في أمر خطير كهذا ؟.

وقال الرجل منتصرا لرجال سلاحه :

- كل اللي في سلاح الطيران رجالة ، ولا يمكن أن يتراجعوا عن شهادة حق .

طلبت ساعتها من اللواء الحناوى ، قبل أن نبدأ التسجيل أن يعطيني أرقام التليفونات الخاصة بالشاهدين .

فهم الرجل الحصيف ما أرمى إليه .. فقام من فوره قائلا :

- سأعطيك أرقام تليفوناتهما ... و سأتصل بهما الآن لتكلمها بنفسك .

وكان أن اتصل اللواء الحناوى بهما ... و كان أن أكدا لي أن الواقعة حقيقة ، و كان أيضا أن تساءلا : ما الذي ذكر اللواء الحناوى بهذا الأمر الأن ؟. (أى أنه لم يكن بين الرجال الثلاثة أي اتفاق مسبق) ، و كان أن سألتهما هل هما مستعدان للإدلاء بشهادتيهما إذا جد الجد ، و كان أن رد كل منهما غاضبا من سؤالي .

- نحن لا نستطيع أن نخفي شهادة حق .

و بانتهاء المكالمتين ، قلت لسيادة اللواء الحناوى .. و قد غمرني إحساس بأنني سأحصل على كل ما أريد :

- نبدأ التسجيل الآن ...

و بدأ اللواء الحناوى التسجيل (الذي مازلت أحتفظ به إلى الأن) بسؤال .

- هل نبدأ بأن نتكلم عن الواقعة ؟

ساعتها قفزت إلى عقلي فكرة ، رأيت أنها الصواب ، قلت لنفسي اسأل الرجل أولا عما أعرف ، وأرى و أقيس قدرته على التركيز . و كان أن فعلت ، وكان أن أذهلني الرجل بذاكرته القوية التي ما زالت تحتفظ بالتفاصيل ، بل الثلاث ٣٠ مايو و إحنا بنعمل كذا وكيت ، و دخل علينا فلان الساعة حداشر ، و ... ، و بسرعة كنت أروح أحسبها ، ٥ يونيو كان يوم أثنين ، فيكون الثلاثاء قبله بالفعل ٣٠ مايو (لأن شهر مايو ٣١ يوما) ، أي أن شيئا لم يسقط من ذاكرة الرجل حتى التفاصيل الدقيقة .

والحقيقة أنني سجلت له قبل أن يتكلم عن الواقعة أكثر من ثلاث ساعات ، و أدهشتني الساعات الثلاث كلها بدقة الحكي ، و انضباط التسلسل ، بل و براعة العين التي تحتفظ في لماحية مؤكدة بالصور بكل تفصيلاتها « من كان على يمين من ، ومن الذي دخل في اللحظة الفلانية ، و ماذا كان يلبس ، وما الكلام الذي قاله بالضبط » .

ولقد أصررت بعدها على أن انشر ملخصا وافيا للساعات الثلاث التى تكلمنا فيها عن النكسة و أسبابها ، و الفرص الضائعة ، التى كان المرتجى من انتهازها أن يغير النتائج التى أسفرت عنها الحرب ، أصررت على نشره ، لا لشئ إلا لكى أعطى القارئ فكرة عن قوة ذاكرة الرجل ... حتى يصدق القارئ أن الرجل يتذكر بدقة في حادثة أمر جمال عبد الناصر الذى نقله الفريق فوزى إليه (إلى اللواء الحناوي) ،

بضرب الطلاب في الإسكندرية في مظاهرات نوفمبر ١٩٦٨ بالرشاشات ذات العيار الثقيل ، من الطائرات الهليوكبتر ، التى كانوا يجهزونها لأعداء الوطن ... اليهود الصهاينة !!.

ولقد صدق القارئ ما جاء على لسان اللواء مصطفي الحناوى .

لهذا آلمنى جدا أن يقول الأستاذ محمد حسين هيكل في رأيه الذي أملى نقاطه للأستاذ عادل حمودة « ليس لدى تفسير سوى أن اللواء الحناوى يعيش الأن في عزلة (لم أر الرجل في عزاه ، رأيته يعيش مع زوجة و أولاده و أحفاده ، في فيلا جميلة بألماظة ، ودعاني إلى بيته الكبير في بلده وسط الأرض الزراعية التي ورثها عن أبيه ، و الذى تنتقل عائلته معه إليه حين يذهب إلى هناك .. وأن كنت شكرته مخلصا و لم أذهب ، أية عزلة هذه التي يتكلم عنها الأستاذ هيكل بلهجة الرجل الذي يعرف الأسرار كلها ؟!!!) ، بل وآلمني أن يستطرد الأستاذ هيكل فيقول « وبدلا من أن يحلق بالطيارات فهو – اللواء الحناوى – يحلق في الأوهام » !!.

و الحقيقة أن الرجل كان في غاية من الموضوعية ، سواء التي نقلتها عنه إلى صفحات المجلة ، أو تلك الأسرار التي احتفظت بها لنفسي ، و التي ربما أعلنتها في أوقات أخرى ...

المهم ... انتهى حديثي مع الرجل ... وذهبت به إلى منزلي ... ورحت أديره مرة أخرى ، و أنا اسأل نفسي :

– هل ستنشر هذا الكلام عن جمال عبد الناصر ؟

الحقيقة أن قلبى لم يكن يريد أن يطاوعني في أن أقول عن جمال عبد الناصر علنا هذا الكلام!.

لجأت إلي زوجتي ، وابنتي الكبيرة ، وحكيت لهما ما كان ، وأسمعتهما التسجيل

الذي حصلت عليه من اللواء الحناوي ..

قالت زوجتي (الناصرية) :

ـ ما الذي ستستفيده من تشويه الرجل (جمال عبد الناصر) إلي هذا الحد .. المستفيد من هذا التشويه ، سيكون هو القوي المضادة لكل شيء جميل في المرحلة الثورية المصرية وأهدافها ..

وقالت أبنتي (وكانت لحظتها في الثانوية العامة ، و هي الآن طبيبة متخصصة في أمراض النساء و التوليد) :

ـ ما دام حصل .. حضرتك أنشره ..

لكن ابنتي لم تكن مرتاحة لما قالته ، كان الأسى يشوب حماسها ، الذي أرادت أن تنقله عليّ من وراء قلبها ..

وقررت لحظتها ألا أنشر شيئاً مما قيل لي .. ورحت أعلل نفسي بأن سوء تفاهم قد يكون وراء فهم اللواء الحناوي للواقعة التي أوردها بهذا الشكل .. وقلت لنفسي ، إن حادثة خطيرة كهذه كان لابد وأن يرد لها ذكر ولو بالتلميح في مذكرات الذين كتبوا عن تلك الفترة ..

هكذا نبتت في ذهني فكرة أخري .. قلت لنفسي : لماذا لا أعود إلي المذكرات المكتوبة عن تلك الفترة ، لأري إذا ما كان فيها أي تلميح عن الأمر ، فإن لم أجد ، سيكون هذا إعفاء لي من تحمل هم الكتابة في موضوع شائك كهذا .

الغريب أنني رأيت في مذكرات أحمد كامل ، ليس تلميحًا ولكن إثباتاً لصحة الواقعة ! (كنت قد نقلت عنها في المقال السابق لحديثي مع سيادة اللواء) .

وعاد السؤال يلح علي :

ـ الواقعة صحيحة ، والرجل كان يقطر صدقاً وهو يكلمك ، والشهود أكدوا كل حرف قاله .. والمذكرات التي كتبها أحمد كامل تثبت هي الأخرى صحة الواقعة ، ومع كل هذا ، هل ستنشر هذا الكلام ؟.. ولمصلحة من ؟ .

وفجأة لم أصبح متردداً على الإطلاق ، فجأة أحسست أن لزاماً على أن أنشر الواقعة كما عرفتها ، وكما تأكدت من حدوثها ، لقد كانت كلمة «لمصلحة من » هي مفتاح تغير موقفي من التردد الحائر إلي التصميم الحاسم .

وجدت نفسي أقول لنفسي ..«سأكتبها لمصلحة الوطن ، ليعرف الوطن أن العسكريين إذا حكموه لا يتورعون عن أي أمر إذا ضاقت بهم السبل في السيطرة على الناس ، سيطرة لا تعترف بالمشاركة ، سأكتبها من أجل دم زملائي الطلبة ، و إخوتي العمال ، الذي أهدره جمال عبد الناصر في شارع رمسيس والعباسية والمنصورة والإسكندرية ، ولكونه كان مستعداً لإهدار دم المزيد منهم ، دون ذنب جنوه في الإسكندرية .

ساعتها بدأت أكتب الموضوع ..

وأنا أكتب الموضوع قررت ألا ألقي بأوراقي كلها من المرة الأولي ، قررت أن ألقي ببعض الأوراق في مقالتي ، وأن أحتفظ ببقية الأوراق ، وأن أنشر الأوراق تباعاً إذا حاول أحد أن يكذب الواقعة ، وكنت واثقاً من أن أوراقي ستستطيع أن تفحم كل مكذب ..

ولقد حاول البعض تكذيب ما كتبته .. [1]

حاول الأستاذ محمود الجيار سكرتير جمال عبد الناصر التكذيب ..

(1) محاولات التكذيب موجودة في الملاحق تحت عنوان «شهود النفي والإثبات يتحدثون عن ضرب المظاهرات بالطائرات . وكذلك ردي على جريدة العربي.

وأصر الناصريون على ضرورة أن يكذِّب الفريق فوزي الواقعة (و لأن الواقعة تشينه ، قرر أن يحاول خداع التاريخ ، و تكذيب الوافعة).

وقال بعضهم لن يستطيع تكذيبها رجل أفضل مما يستطيع الأستاذ محمد حسنين هيكل أن يفعل (خصوصًا وأنني ذكرت الأستاذ هيكل في مقالي ..) .

ثم بعد هؤلاء ألقي الأستاذ عبد الله إمام بدلوه في محاولة التكذيب .

الأوائل نشروا تكذيبهم في روز اليوسف في العدد ١٤١٨ بتاريخ ١٢ مايو ١٩٩٧ .

والأخير نشر تكذيب الفريق أول محمد فوزي (الذي كان قد أرسله إلي روز اليوسف ، قبل أن تنشره المجلة المعنية !!) في جريدة «العربي» لسان حال الحزب الناصري (في صفحتها الأولي ، باتساع النصف الأعلي من الصفحة ، تحت أسم الجريدة) ، ثم نشر مقالاً مطولا كله هجوم على اللواء الحناوي وعلى شخصي في العدد التالي من جريدته العربي ، التي يرأس تحريرها .

آخرون أيضا حاولوا الهجوم على ما كتبته وعلى شخصي لكنني لم أر أهمية فيما كتبوه ..

قررت أن أكتفي بردي علي الأستاذ هيكل والفريق أول محمد فوزي ، وإظهار شهادة شاهدي الإثبات في الواقعة في روز اليوسف ، لكن محاولة الأستاذ عبد الله إمام لأن يثبت أن الكلام الذي أوردته محض تحريف من اللواء الحناوي ، استفزتني ، فكتبت رداً لجريدة العربي وذهبت به إلي مقر الجريدة لأسلمه ..وبالفعل سلمته للأستاذ «وائل قنديل» ، ولم ينشر الرد .. وقيل لي إن على أن أرسله إلي الجريدة على يد محضر ، ولكنني لم أرد أن أفعل هذا ، إذ تأكد لي أن ما كتبه الأستاذ عبد الله إمام لم يحدث التأثير الذي أراده .

موقف آخر أظن أن من الضروري أن أرويه ..

عندما ذهبت إلي منزل اللواء طيار د. جبر على جبر ، لأسجل له شهادته ، التي نشرتها في روز اليوسف قال لي سيادته أن الفريق أول محمد فوزي أتصل به بشأن ما نشرته .. قلت :

ـ غريبة إنني لم أت بسيرتك في الموضوع المكتوب !!..

(من فضلك أرجع إلي الهامش في نهاية الفصل الفائت).

قال سيادته:

ـ الفريق أول فوزي يعرف أنني من شهود الواقعة ..

سألت متوجساً :

ـ ماذا قال لك الفريق أول فوزي بالضبط ؟.

ـ قال لي شفت التخاريف اللي نشرها صاحبك في روز اليوسف ..قلت له ..الواقعة اللي أتكلم عنها اللواء الحناوي حقيقية يا فندم ..قال أنت كمان بتتكلم زي صاحبك !..

وقال لي اللواء د. جبر :

ـ سيادة الفريق أول زعل مني ..وبرغم إني بعمل معاه أبحاث خاصة باحتفالية لجمال عبد الناصر بتشرف عليها السيدة هدي عبد الناصر ـ وممكن يزعلوا كلهم من اللي ح أقوله ..إلا أن الحق ..حق.

وبدأت أسجل مع الرجل (بحق) .

ولما عدت لمنزلي ..فوجئت بمكالمة تليفونية متعجلة من السيد اللواء قال لي فيها :

ـ أقرأ لي اللى أنا قلته من فضلك في الشريط ..

وراح يتفق معي على ما ينشر منه ومالا يريد له أن ينشر (الأن) . وقد نفذت كل ما أراده الرجل..إذ كان ما بقي من الكلام يفي بالغرض تماماً .

وأقول للقارئ : الحق أنني بعد جلستي هذه مع السيد اللواء د. جبر أصبحت متأكداً ١٠٠٪ من صحة الواقعة.

ـ المهم الآن ..عندما ذهبت إلي جريدة العربي ، ألتف حولي بعض من المحررين الناصريين الشباب (وقد حدث نفس الأمر لي مع رفاق ناصريين في أماكن أخري) الشباب .. يعاتبونني على ما كتبت ، ويعلنون أنهم لم يصدقوا ـ و من غير الممكن أن يصدقوا ـ أن جمال عبد الناصر من الممكن أن يفعل شيئًا كهذا .

قلت لهم :

ـ لقد كتبت ما تأكدت من أنه الحقيقة ..

ردوا في حدة تخفيها دماثه أخلاقهم ، وابتسامات حائرة خجلى ترتعش حول الشفاه:

قلت :

ـ وماذا لو أوضحت لكم الآن وجهة نظري..

وكان أن سمحوا لي:

قلت لهم ، إذا رجعتم لمذكرات الأستاذ أحمد كامل ـ التي نشرت أجزاء منها قبل أن أنشر مقالي عن حديثي مع اللواء الحناوي ـ ستجدون الأستاذ أحمد كامل يقول الأتي :

١ـ خرجت من الجامعة بانطباع أن تجربة الحوار ، لن تحقق النتائج المنتظرة ، اتصلت بسامي شرف ، وقلت له أبلغ الرئيس أنني أطلب تدخل الجيش لإنهاء

الاعتصام (أي أنه كان هناك طلب لتدخل الجيش ضد الاعتصام .. هذه واحدة) .

٢ـ بعد دقائق جاء رد سامي : الرئيس أمرني بأن أتصل بالفريق أول محمد فوزي القائد العام للقوات المسلحة ، وأن أبلغه أن يتصل بك (أي أن عبد الناصر لم يقل لا لتدخل القوات المسلحة .. هذه ثانية).

٣ـ بعد دقائق كلمني الفريق أول محمد فوزي وقال :

«وضعت قائد المنطقة العسكرية الشمالية تحت قياداتك . أخبره بطلباتك وسوف يقوم بتنفيذها على الفور (ماذا كان يطلب أحمد كامل غير تدخل القوات المسلحة ضد الطلبة ؟! ، أي أن القوات المسلحة كانت موافقة على ما يريده أحمد كامل ، وأن جمال عبد الناصر كان موافقًا ، فهذا أمر لا يستطيع الفريق فوزي أن ينفذه دون العودة إلي القائد الأعلى للقوات المسلحة .. هذه هي الثالثة).

٤ـ قلت (أحمد كامل) بعدها لقائد المنطقة الشمالية أن يعطي أوامره لقيادة الطيران (هذا كلام أحمد كامل ـ تذكر) في المنطقة ليتم إرسال عدد من طائرات الهليكوبتر فوق مواقع اعتصام الطلبة (إذن كان في الأمر طيران ، و من نوع الهليوكوبتر .. هذه الرابعة).

٥ـ كما طلبت منه (من قائد المنطقة الشمالية) وضع بعض قوات الجيش لتدخل إلي المحافظة وتمر بدباباتها وأسلحتها أمام طلبة الهندسة (أي أن القوات المسلحة شاركت بالفعل وليس كما يتنصل الفريق أول فوزي من الأمر ،كاذباً على التاريخ .. هذه الخامسة).

٦ـ شاركت الطبيعة في أخراج مسرحي للموقف ، فقد تزامن رعد وبرق ومطر ، ومع أصوات الرياح والسحب تصور الطلاب أن الطيران قد بدأ القصف والهجوم ، (أي أن الطيران كان متواجدا وبشكل يوحي بأنه سيبدأ القصف والهجوم) في الوقت

الذي مرت فيه بعض قوات الجيش أمام الجامعة وتمركزت بعض الوحدات في الاستاد الرياضي المجاور ، ورن جرس التليفون في مكتبي ..كان المتحدث أحد قادة الاعتصام ، قال : لقد قررنا إنهاء الاعتصام .

هذه هي النقاط التي جاء بعضها في مذكرات الأستاذ أحمد كامل (ويمكن بسهولة الرجوع إلي مذكراته).

وقلت للناصريين الشباب الأعزاء..

ما الذي قاله اللواء الحناوي ولا يستقيم مع رواية أحمد كامل محافظ الإسكندرية وقت اندلاع المظاهرات في نوفمبر ١٩٦٨؟.

إن الأستاذ أحمد كامل أقر بأنه طلب تدخل القوات المسلحة وأن عبد الناصر لم يمانع ، وان الفريق أول محمد فوزي قد سهل له كل الأمور لتدخل القوات المسلحة ، وأن الأستاذ أحمد كامل طلب من قائد المنطقة الشمالية تدخل طائرات الهليوكوبتر.

ـ ألم يقل الأستاذ أحمد كامل كل هذا؟ ..

قال شباب الناصريين..

ـ قاله ..

قلت :

ـ لننظر الآن فيما لم يقله الأستاذ أحمد كامل ..الأستاذ أحمد كامل لم يقل إن خروج الطيران لا يتم بأوامر من قائد منطقة عسكرية ، خروج الطيران قرار القائد الأعلى والقائد العام وقائد الطيران ..

وما دام أحمد كامل قد أقر بأن الطيران قد جاء ، وظن الطلبة أنه سيضربهم ، فإن الأمر لابد أنه احتاج إلي أن يتم الطلب في هذا الشأن من قائد الطيران . والذي يستطيع أن

يعطي أوامر لقائد الطيران بهذا الخصوص واحد من اثنين ..جمال عبد الناصر أو محمد فوزي .

وهكذا يكون الفاعل جمال عبد الناصر .

أو أن الفريق أول محمد فوزي فعلها من دماغه ، ولا أظن أن هذا الأمر صحيح ، ذلك أن جمال عبد الناصر لم يمانع في تدخل القوات المسلحة بل وفي وضع كل إمكانياتها في خدمة إنهاء الاعتصام وتفريق الطلاب .

ثم سألت الناصريين الشباب :

ـ كيف تطلبون مني بعد كل ذلك ألا أصدق ما قاله اللواء الحناوي ، وبه تكتمل الصورة التي رسمها أحمد كامل .

وابتسموا في حيرة أشد ..

قلت :

ـ وكيف تطلبون مني ألا أنشر هذا الكلام ما دمت صدقته .

الحقيقة أن الواقعة صادقة . ولا أظن إلا أن عبد الناصر فعلها لأسباب شرحتها قبلا .

فهل يمكن بعد كل هذا أن يقول الفريق أول محمد فوزي (بعد خمسة و عشرين سنة ، في رده على الأمر إن القوات المسلحة لم تتدخل نهائياً !!!..

وهل يمكن بعد كل هذا أن يقول الأستاذ هيكل إنه لم يطلق رصاص على الأرض ليطلق من السماء ..(بينما الأهرام تحت رئاسته ـ وقت الأحداث ـ قد أشار عدة مرات إلي إطلاق الرصاص واستخدام القوات المسلحة !!!![1]).

(1) راجع الملحق

وهل نصدق الأستاذ محمود الجيار إذا قال لنا أن جمال عبد الناصر لا يفعلها ! .

لم ينشر ردي في » كما قلت ، وكان من حقي أن ينشر وانتظرت العربي سنة كاملة لتنشر (بعد العيد الذي لا يفتل فيه كحك بسنة كاملة!!) حديثا من بعض المشاركين في الحركة الطلابية ، حاولت فيه أن تنفي أمر استعمال الرصاص ضد المتظاهرين ، وأن تعفي جمال عبد الناصر من المسئولية ، سنة كاملة جعلتني أفهم أن كانت قد قررت أن تتهرب من المواجهة السافرة ، وأن تتسلل ـ كاللصوص في الصفحة قبل الأخيرة ـ بعد ذلك بسنة في محاولة لمحو الفكرة .

والآن ماذا ستقول العربي .. إذا قلت لها أنني أخفيت أخر أوراقي وهي دفاع عبد الناصر عما حدث من إطلاق للرصاص ، في المؤتمر القومي للقوي الشعبية بعد الأحداث ..

ماذا ستقول العربي...

وماذا سيقول الناس؟..